ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2021) Vol (12) Issue (6): 115-142
https://doi.org/10.25130/jis.21.12.6.6

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN:2073-1159 *(Print)* *E-ISSN*: 2663-8800 *(Online)*
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq

ISJ

Faithful Passion and its Impact on da'wah, the Believer of the Aal- Pharaoh, and the Believer of the Aal- Yass as a model

muayid T. mahmoud[1]

Dr. Hazem Muhammad Thamel ♦[2]

Department of Quranic Sciences and Islamic Education, College of Education, University of Anbar, Iraq.

KEY WORDS:

Passion, faith, preachers, believer of the family of Pharaoh, believer of the family of Yasin .

ARTICLE HISTORY:
Received: 11/ 4 /2021
Accepted: 27/ 4 / 2021
Available online: 26 /7 /2021

ABSTRACT

The subject of the faithful emotion is one of the important topics mentioned in the Qur'anic stories, as it expresses the most important types of human emotions, and an important part of the components of the human entity. This study aims to indicate some of the sides and people who represent this emotion ,i.e. the emtion of the believer of Aal-pharaoh and the emotion of the believer of Al Yassin, in addition to explaining the impact of these emotions on these sincere advocacy models and their impact on the recipients, so that it would be a sound approach for everyone who followed the path of the prophets in conveying the word of truth, and the call to Allah Almighty, and in what achieves human happiness in this life and the hereafter, without cariy about the loss of money, prestige, position, or even the loss of the soul that he may suffer, because this passion transcends its owner above all the adornments of this world and its fleeting adornment, in order to achieve the goals of true faith.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

♦ Corresponding author: E-mail: **ed.hazem.mohammed@uoanbar.edu.iq**

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2021) Vol (12) Issue (6): 115-142
https://doi.org/10.25130/jis.21.12.6.6

العاطفة الإيمانية واثرها في الدعوة مؤمن آل فرعون ،ومؤمن آل ياسٍ انموذجاً

مؤيد تركي محمود
أ.م.د. حازم محمد ثميل
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية, كلية التربية, جامعة الأنبار, العراق.

الخلاصة:

يُعد موضوع العاطفة الإيمانية من الموضوعات المهمة التي وردت في القصص القرآني ، إذ إنها تعبّر عن أهم أنواع العواطف الإنسانية , وجزء مهم من مكونات الكيان البشري ، وقد جاءت هذه الدراسة لتبيّن بعض جوانب و شخوص مَنْ يمثلون هذه العاطفة ممثلة بعاطفتي مؤمن آل فرعون , و مؤمن آل يس ، فضلاً عن بيان أثر هذه العواطف على هذه النماذج الدعوية الصادقة وأثرها على المتلقين، ليكون منهجاً قويما لكل من سارَ على درب الأنبياء في إيصال كلمة الحق ,و الدعوة إلى الله سبحانه و تعالى ، و بما يحقّق سعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا والآخرة ، غير مبالي بما قد يصيبه في سبيل ذلك من فقد المال أو الجاه أو المنصب أو حتى إزهاق الروح ، و ذلك لأنّ هذه العاطفة تسمو بصاحبها فوق كلّ زخارف الدنيا و زينتها الزائلة تحقيقاً للغايات الإيمانية الصادقة.

الكلمات الدالة: العاطفة, الإيمان, الدعاة, مؤمن آل فرعون, مؤمن آل ياس .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فتعد العاطفة من أهم وأبرز مكونات الشخصية الإنسانية ، فهي غريزة إنسانية متأصلة ومغروسة في النفس ، وهي جزء لا يتجزأ من كيان الإنسان ، بل هي من صميم الفطرة الإنسانية التي فطر اللهُ الناسَ عليها ، ولما كان القران الكريم منهجاً متكاملاً انزله الله سبحانه وتعالى لبناء الإنسان في جميع جوانبه روحاً وعقلاً وعاطفةً وحباً . فقد حفل بالحديث عن العاطفة الإنسانية وافاض في بيان مالها وما عليها من بعد ومنظور قرآني ، فقد وضع لها الأساس الذي تسير علية، ورسم لها منهجاً منضبطاً حتى لا تنحرف عن القيم والمبادئ العامة ، وبيّن لنا صوراً إيجابية وأخرى سلبية عن العاطفة في اسما تصوير للعواطف في القرآن الكريم ، حتى لا يفهم من اهتمام القرآن بالجانب العاطفي الإنساني ، إنّ القرآن يكبت أو يحجم أو يميت أو يحارب ويطوق العواطف الإنسانية ، كلا ، إنّما هو يضبطها و يقيّدها بقيود الشرع بما يضمن سيرها في المنهج والاتجاه الصحيح الذي يتماشى مع الفطرة الإنسانية السليمة ، كما بين لنا المنهج القرآني مدى حرصة على تهذيب وترسيخ وتعديل قواعد العلاقات الإنسانية سواء أكانوا أفراداً أم جماعات وأمم وشعوب ، بغض النظر عن اللون والجنس والعرف واللغة .

إنّ حديث القرآن عن العاطفة الإيمانية يبيّن لنا وبشكل باهر مدى شمولية القرآن الكريم في بناء الإنسان وعدم إغفاله لأي جانب من جوانبه التكوينية، كما قال تعالى : 

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة في إبراز بعض جوانب العاطفة الإيمانية لأتباع الأنبياء ، وكيف عملوا على إيصال كلمة الحق ودعوة الصدق إلى أقوامهم بالرغم من وجود اعتى الطغاة وأقاسهم على مر التاريخ ، وبالرغم من وجود الأنبياء والمرسلين ، ذلك أنّ العاطفة الايمانية إذا خالطت بشاشة القلوب أصبحت دافعاً ومحركاً للإنسان للتضحية والبذل والعطاء في سبيل إيصال الحق إلى الآخرين . ولنعلم أنّ الدعوة ليست حكراً للأنبياء والمرسلين فقط، ولكنها لكلّ مَنْ سار على دربهم واقتفى أثرهم وانتهج منهجهم في هداية البشرية إلى صراط الله المستقيم.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذه الدراسة للأسباب الآتية :

١- ابراز العاطفة الايمانية كمنهج دعوي حقيقي له اهميته في الداعي والمتلقي .

٢- الالتزام بالمنهج القرآني في تهذيب وضبط العواطف الايمانية .

٣- بيان اهمية القرآن الكريم في عرض وتصوير العواطف الإيمانية بأسلوب رائع ومؤثر ونافع للمتلقي .

٤- إنّ في بيان هذا الجانب العاطفي المهم تعزيز وتأصيل للعلاقة بين الوحي الخاتم والإنسان المكرم ، فهو الأساس والمعيار الذي يمكن عن طريقه تقييم السلوك الإنساني .

منهجية البحث:

١- اعتماد المنهج الاستقرائي التحليلي، والمراد به المنهج الذي يقوم على استقراء الشخصيات التي ذكرها القرآن الكريم وسبر اغوارها وتحليلها نفسيا وتربويا ، خلافاً للدراسات التحليلية ذات الإطار النظري ،من اجل استلهام الدروس والعبر.

٢- نقلت الآيات على رواية حفص من مصحف المدينة المنورة.

٣- ميزت الأحاديث بتخريج منهجي من امّات كتب الصحاح وذكر الحكم عليها في غير الصحيحين أو احدهما ، وميزتها بين قوسين مزدوجين((..)).

٤- الإحالة إلى المصدر في الهامش من خلال ذكر اسم الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصفحة، ثم ذكر بطاقة الكتاب كاملة في نهاية البحث خشية الإطالة.

٥- بيان غريب الألفاظ من كتب المعاجم والغريب في الهامش.

الدراسات السابقة: أمّا الدراسات السابقة فهناك بعض الدراسات التي تناولت موضوع العاطفة في القرآن الكريم بشكل عام ،أمّا موضوع العاطفة الإيمانية بالتحديد فلم أقف إلّا على مؤلَّف واحد وهو(العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية) لمحمد موسى الشريف ،وهو كتاب يتحدث فيه عن أهمية العاطفة الإيمانية ،ونماذج من السلف الصالح والعلماء المعاصرين، كما ذكر فيه بعض أقوال العلماء التي تخص هذا الجانب

خطة البحث:

جاء هذا البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد ومبحثين :

التمهيد : التعريف بمفردات العنوان.

المبحث الأول : أثر العاطفة الإيمانية .

المبحث الثاني : نماذج من آثر العاطفة . واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مؤمن آل فرعون .

والمطلب الثاني مؤمن آل يس .

ثم الخاتمة وتضمنت أهم النتائج ثم المصادر باللغة العربية والإنكليزية.

التمهيد: التعريف بمفردات العنوان:

اولاً: العاطفة

العاطفة في اللغة: "العين والطاء والفاء أصل صحيح يدل على انثناء وعِياج، يقال :عَطَفْتُ الشيء , إذا أمَلْته ، وانعَطفَ الشيء إذا انعاج... وتعطّفَ بالرَّحمةِ تعطّفاً... والرَّجُل يَعطِف الوِسادةَ : يثنيها .... ويقال للجانبين العِطفانِ " (١)

"وتعطّف عليه أي : وصله وبرّه، وتعطّف على رحمه : رقّ لها والعاطفة : الرحم، صفة غالبة ورجل عاطف وعطوف :عائد بفضله حسن الخلق ، والعطّاف :الرجل الحسن الخلق ،العطوف على الناس بفضله..، وعطفت عليه أشفقت.(٢)

العاطفة في الاصطلاح الشرعي:" أنها شعور معين تجاه شخص معين ،أو أرض أو فكرة ، أو موقف معين ، يقوم بالنفس (محله القلب)، قال تعالى :ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ ﭼ (٣) وأصل ألعاطفة فطري لدى جميع الأفراد ،وبنسب متفاوتة تتأثر قوةً وضعفاً تبعاً للظروف ألتربوية ألمختلفة ،والبيئات المتنوعة ،والعوامل الاجتماعية ،والتجارب الانفعالية.(٤)

ثانيًا: الإيمان:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ،ابن بن فارس ٣٥١/٤ ، مادة عطف .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٤٩/٩ , مادة عطف

(٣) سورة الحديد اية : ٢٧.

(٤) العاطفة الإنسانية في المنظور القرآني ، قحطان فيصل عبد ، مجلة الدراسات التربوية والعلمية ، (كلية التربية في الجامعة العراقية ، العدد السابع ، جمادي الاولى ١٤٣٧هـ اذار ٢٠١٦م) : ١٩

الإيمان في اللغة: "مصدر آمن يؤمن إيماناً. فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغوين وغيرهم أن(الإيمان) معناة التصديق" .[١]

الإيمان في الاصطلاح :هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح.[٢]

ثالثاً: العاطفة الإيمانية

العاطفة الإيمانية: :وهي ما يحمل على جميل التأثر ، وحسن التجاوب ، وقوة الانطلاق ، وعظيم التأثير الإيماني ، وليس المراد تلك العاطفة الهوجاء التي تعمي وتصم وتحمل صاحبها على التسرّع وعدم التبصر في العواقب وإلى ارتكاب ما يندم علية بعد ذلك اشد الندم. [٣]

وقيل هي : ذلك الميل أو الانعطاف النابع من الإيمان الدافع إلى عمل تنزع اليه النفس, وترغب فيه وتوصف بالإيجابية أو السلبية حسب مخرجاتها .

رابعاً: الدعاة

الدعاة في اللغة: قوم يدعون إلى بيعة هدىً أو ضلالٍ واحدهم داع.[٤]

الدعاة في الاصطلاح: هم الداعون الى الله على بصيرة ،والباذلون الجهد المادي والمعنوي في سبيل ذلك.[٥]

المبحث الأول :العواطف الإيمانية وأثرها في الدعاة:

إن العواطف الإيمانية زاد الدعاة ومصدر قوتهم وتجرّدهم ، فهي دافع وباعث على السعي الحثيث في نشر دعوة الله بين الناس ، ولاشك بأنّ الانبياء والمرسلين لهم النصيب الأكبر من هذا الزاد ، وكذلك كانت سيرتهم حافلة بأروع الصور ، صور البذل والتضحية والتحمل والتجرد من حظوظ النفس ، وأعلى صور أداء الأمانة للقيام بوظيفة الدعوة إلى الله تعالى ، فلم يألوا جهداً في دعوة أقوامهم إلى الحق والهدى والنور، غير مهتمين بالنتائج ولا يلتفتون اليها ، لعلمهم بأنّ النتيجة قدر والهداية بيد ربهم ، ولعل خير ما يجعلهم لا يلتفتون للمآسي التي يتعرضون لها من أقوامهم كالتكذيب والسخرية والضرب أحياناً والاتهام وغيرها ، هو تلك العواطف الإيمانية التي تشع من أقوالهم وأفعالهم رحمة بأقوامهم ، وحباً لهم بإتباع الحق المنجى لهم من العذاب في الحال والمآل .

تهذيب اللغة ، ابو منصور الهروي :٣٦٨/١٥.

(١) تهذيب اللغة, ابو منصور الهروي: ١٥/ ٣٦٨.

(٢) الجرجاني : ١/ ٤٠ ,ينظر : التعريفات .

(٣) ينظر : العاطفة الإيمانية واهميتها في الاعمال الاسلامية ، محمد موسى الشريف : ٧٨.

(٤) تاج العروس ، محمد بن مرتضى الزبيدي : ٥١/٣٨.

(٥) العلماء هم الدعاة ، ناصر بن عبد الكريم العقل، موقع, Islamhouses .com

، ولا شك أنّ الله سبحانه وتعالى جعل للأنبياء اتباع من المؤمنين قد سلكوا مسلكهم ، وانطبعت افعالهم بأفعالهم ، فكانوا هم الشعلة التي يقتدون بها في حياتهم الدعوية ، من اجل تبليغ الحق إلى البشرية جمعاء ، لتكون دعوتهم امتداداً لذلك الموكب الكريم في التضحية والفداء ، وبين أيدينا صورتين للعاطفة الإيمانية ممثلة في عاطفة مؤمن آل فرعون ، وعاطفة مؤمن آل يس ، وهما نموذجان فريدان يبينان مدى قدرة الإيمان على تحريك العواطف والانفعال تجاه الأحداث والمواقف .

المبحث الثاني :نماذج من آثر العاطفة: واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : عاطفة مؤمن آل فرعون

إنّ العاطفة الإيمانية هي وقود العبادات ، فإنْ عظمت في النفوس تسامت وارتفعت ، حتى تعانق عنان السماء ، فتكون منهجاً متكاملاً للفكر والعقيدة الصحيحة فتعمل على بناء الإنسان من الناحية العقلية والوجدانية . (١)

فالعواطف الإيمانية ليست محمودة في كل حال ، فمنها العواطف الإيمانية الإيجابية ومنها السلبية ، والمقصود بالعواطف الإيمانية الإيجابية : هي ذات المردود الايجابي أو الأثر المفضي إلى خدمة الدين وأهلة ، والتي تستند إلى ضوابط الشرع ومحدّداته وفق الفهم السديد لنصوص الوحي الإلهي ، ممّا يكون أداة للتغير وتصحيح المسار الخاطئ بكل حب وود وخوف على الآخرين ، ذلك أنّ صاحب العاطفة الإيمانية الطيبة ، كالشجرة الطيبة ، وليست هناك شجرة تأكل من ثمارها وإنّما هي تثمر في سبيل انتفاع الغير منها ، ولربما تلقت الأذى وهي تبذل تلك الثمار ، فالمؤمن لا يبقى الإيمان حبيس صدره وإنّما يجعله يتفاعل مع المجتمع ، في سبيل تحقيق الخير لعامة الناس في هذه الحياه الدنيا والآخرة ، وهذا كان ديدن مؤمن آل فرعون الذي وقف كالطود الشامخ تجاه ظلم فرعون وجبروته (٢)، وقد وردت قصة هذا المؤمن في سورة غافر وهي من السور المكية. (٣) وسميت بسورة المؤمن نسبه له وتكريماً وإشارة بموقفه ودعوته لأتباعه . (٤) .

---

(١) ينظر : العاطفة الإيمانية وأهميتها في الاعمال الإسلامية ، محمد موسى الشريف :١٠.

(٢) قيل : أن اسم هذا الرجل سمعان أو حبيب وقيل : حزقيل ، وقيل عنه : أنه كان ابن عم فرعون أوقبطيا من آل فرعون وقيل أنه كان من بني إسرائيل ، والقول الاول هو الأظهر . ينظر : الكشاف ، الزمخشري : ١٦٢/٤، و مفاتيح الغيب الرازي : ٥٠٩/٢٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي : ١٩٣/١.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٨٨/١٥، ومحاسن التأويل القاسمي : ٨/ ٣٠٠، و مع قصص السابقين في القرآن ، صلاح الخالدي : ٩٩/١.

فبعد أنْ جاء موسى ﷺ إلى فرعون وقومه بالحق من الله تعالى ، وقدّم لهم البراهين والآيات المعجزة ، التي تدل على صدق نبوته ، فبدل أنْ يخضعوا للحق الباهر الذي معه ، كذّبوه واتهموه بالسحر والكذب ، ولم يكتفوا بذلك ، بل انتقلوا إلى مرحلة هي أشدّ كفراً ، وطغيانا وفساداً ، في حرب حاقدة ، أتخذوا فيها أخس انواع التعذيب ، التي لا تتفق مع أيّ عرف أو قانون ، أو أخلاق ، فحاربوه عن طريق أتباعه ، حيث : ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [1] وهي وسيلة تنم عمّا في قلوبهم من حقد وكبر وانتقام ، وعلى خلوها عن أي معنى من معاني العطف، والبر، والخير ، والرحمة ، والإنسانية، ولا تتفق مع أي حق ومبدأ ، ولكن متى كان اصحاب الباطل يلتزمون بالقوانين في محاربه الحق وأهله ،فوصل الطغيان بفرعون العزم على قتل موسى ليقتل بذلك دعوته : ﭽ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ. [2] [3]

ولكن موسى ﷺ التجأ إلى الركن الأمين والحصن الحصين فقال : ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [4] فكان لهذه الاستعاذة أثرها في تهيئة هذا المؤمن للدفاع عن موسى ودعوته ، ليقف بوجه فرعون الطاغية وجبروته ، تدفعه بذلك عاطفته الإيمانية ، بقوله تعالى :  [5][6]

فبدأت تلك الرحلة الإيمانية بهذا القول من الرجل المؤمن والآية كفيلة في بيان أنّ كان مومناً وهو من آل فرعون ، وإنّه من حاشيتهم ، وليس في هذا غرابة فأنّ زوجة فرعون كانت مؤمنة , كما قال تعالى : ﭽ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [7] وكما قال تعالى ﭽ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [8][9] .

فتأكيد القرآن على صفة الإيمان دليل بارز على الدافع الذي جعله يتكلم ، فهي مقالة من ملأ قلبه نور الإيمان ، وخالط بشاشته برد اليقين ، حتى صار محباً للخير لنفسه وللآخرين . [10]

---

(١) سورة غافر من الآية : ٢٥.

(٢) سورة غافر من الآية : ٢٦.

(٣) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن ، صلاح الخالدي : ٩٩ ١٠٢.

(٤) سورة غافر الآية : ٢٧ .

(٥) سورة غافر الآية ٢٨.

(٦) ينظر : مفاتح الغيب ، الرازي : ٢٧/ ٥٠٧ ٥٠٨.

(٧) سورة التحريم الآية : ١١.

(٨) سورة الروم من الآية :١٩.

(٩) ينظر : جامع البيان ، الطبري : ٣١١/٢٠.

(١٠) ينظر : التفسير الواضح ، محمود محمد الحجازي : ٣/ ٣٠٢.

فهذا الرجل كتم إيمانه ، لأنّه لا يستطيع أنْ يبارز أهل الباطل بمفرده ، ولربما كان في إظهاره حقيقة هذا الإيمان سبباً في قتله ، دون جني أيّ فائدة منه ، ذلك أنّ الحياة في سبيل الله لا تقل أهمية عن الشهادة في سبيله ، فالإنسان كلما عاش طويلا في سبيل نصرة الحق ، كلما كان أسمى وأعلى منزلة يوم القيامة ، فكان هذا المؤمن ينظر من هذا الجانب في حياته الدعوية ، حتى يأتيه ذلك الموقف الذي يبرز فيه هذا الإيمان ، وهو نوع من الابتلاء أمام هذا الطاغية وقومه فيقول : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ فهذا هو جهاد الكلمة ، التي ينتصر بها الإيمان كما قال النبي محمد ﷺ ((إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)) [١] فلم تكن معه إمكانات مادية أو عصبة ينتصر بها .

فانطلق هذا الرجل المؤمن في جولته الضخمة منطلقاً من منطق الفطرة المؤمنة ، في حذر ومهارة وقوة ، فبدأ بتفظيع ما هم مقدمون عليه فقال : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد القلب ، واقتناع النفس ، تستحق القتل ، ويرد عليها بإزهاق الروح ، إنّها بحق فعلة منكرة ، ظاهرها القبح والبشاعة ، ثم يخطو بهم خطوة أخرى ، فالذي يقول هذه الكلمة البريئة ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ يقولها ومعه حجته ، وفي يده برهانه، إشارة إلى تلك الآيات التي عرضها موسى عليه السلام . [٢]

وهو بذلك يعرض عليهم الأمر ، ويناقش عقولهم بعيداً عن العصبية والانفعال وردة الفعل وبيّن لهم أنّ موسى عليه السلام إمّا أنْ يكون كاذباً أو صادقاً . وخير لهم أنْ يتجنبوا إيذاءه في الحالتين ، فإنْ كان كاذباً فسيتحمل عقوبة كذبه بعيداً عنكم ، وإنْ كان صادقاً فستحل بكم عقوبة الكفر به ، فلا تضيفوا إليها جريمة قتله فيتضاعف عذابكم . [٣]

وقد أشار هذا الرجل المؤمن إلى أمر يدل على ذكاء وحكمة وفطنة بقوله : 

قومه بقوله : ﭽ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ [1]. فيا قومي وعشيرتي لكم الملك اليوم كونكم ظاهرين وغالبين ومنتصرين على بني اسرائيل في أرض مصر ، ولكن من يستطيع أنْ ينصرنا من عذاب الله إنْ أرسله علينا بسبب عدم شكرنا له ، واعتدائنا على خلقه ، فنسب إليهم ما يسرهم من الملك ، والظهور في الأرض ، دون أنْ يسلك نفسه معهم ، وسلك نفسه معهم في موطن التحذير تطيباً لقلوبهم ، وبيان أنّ ناصح أمين ، ولكن فرعون بعد أنْ سمع نصيحة هذا الرجل المؤمن أخذته العزة بالإثم ، وقال ما يقوله كل طاغيه متجبر معجب بنفسه ، : ﭽ ے ۓ ۓ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ فقال لقومه لا أشير عليكم ولا أخبركم إلّا بما أراه خيراً وصواباً لكم ، فكان غرضه التدليس والتمويه على قومه فلا يريد منفعتهم . بل إنّ الدافع الحقيقي هو التخلص من موسى ، حتى يخلوا له الجو في تألية نفسه على جهالة من قومه واستخفاف ، كما قال تعالى : ﭽ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﭼ [2] [3].

ولكن أنّى لهذا الرد أنْ يأخذ من عزيمة من ملأت العاطفة الإيمانية قلبه ، والتي جعلته يتحرك أمام طاغية ولم يأبه بمصيره الذي سوف يلاقيه ، ذلك أنّ الإيمان الحق يجعل الإنسان يستصغر كل ظالم أمامه رغم جبروته وطغيانه ، ويضحي بالغالي والنفيس من أجل ذلك الهدف السامي . فتأتي الآيات القرآنية لتبيّن عظمة قلب ذلك الرجل المؤمن بقوله تعالى : ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ﭼ [4].

فما أجمل وأعظم أنْ يشهد الله سبحانه لهذا الرجل بالإيمان ، فلم يذكر لنا القرآن اسمه أو عمله ، ولكن ذكر لنا أهم صفة يمكن أنْ يتحلّى بها الإنسان ، أنّها الإيمان ، الذي خالط جوارحه ومشاعره ، وجعله خالداً في سفر الدعاة الصالحين ، فالله تعالى يبيّن لنا أنّ الاعمال الصالحة تخلّد الذكر لصاحبها ولا عبرة لغيرها من الالقاب والمراكز والمناصب ، فيقول لهم يا قومي ، بهذه الكلمة الاستعطافية ، التي تبيّن مدى صلته القوية بهم ، وعمق الخوف الذي يدل على شفقته وحنوه عليهم .

فبيّن لهم أنّهم إذا ما استمروا في إلحاق الأذى بموسى ، فلن يسلموا من أنْ يحلّ بهم يوم كيوم هؤلاء الاحزاب ، قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، والذين من بعدهم ، فأنّه يوم عسر لقي فيه المكذبون بالرسل الهلاك والدمار ، ويلاحظ هنا أنّ يوم الاحزاب سمي يوماً مع أنّه أيام ، إذ كان لكل قوم

---

(١) سورة غافر الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية : ٥٤.

(٣) ينظر : التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ١٢/ ٢٨٦ ٢٨٧.

(٤) سوره غافر الآية : ٣٠.

يومهم الذي لا قو فيه الهلاك ، وذلك لأنّ جريمة القوم واحدة ، والحكم الذي أصابهم حكم واحد ، فكأنّهم ادينوا في يوم واحد ، وأنّ تراخى الزمن بينهم في ايقاع الحكم [١] .

وتعود تلك الكلمة : ﭽ ں ﭼ بما تحمله من معاني الرحمة والعطف على قومه ، ممزوجة بالخوف عليهم ، ولكن هذه المرة من العذاب الأخروي بعد أنْ خوّفهم بالعذاب الدنيوي فقال : 

وفضلاً من هذه الجولة الضخمة التي أخذ الرجل المؤمن قلوبهم بها ، إلّا أنّ فرعون ضل في ظلاله مصرّاً على التنكر للحق ، ولكنه تظاهر بالتحقيق من دعوة موسى ، لأنّ منطق الرجل المؤمن وحجته كانت من البلاغة والشدة في الوقع ، إذ لم يستطع فرعون ومن معه تجاهلها ، فاتخذ لنفسه مهرباً فقال : ﭽ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ﭼ [1]

فطلب من وزيره هامان أنْ يبني له بناءً عالياً يعرف من ورائه طرق السموات ليبحث عن إله موسى ، وهكذا كان فرعون الطاغية يحاور ويناور كي يواجه الحق ، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه ، وتهدّد الاساطير التي قام عليها ملكه ، إنّه الاستهتار والسخرية من جهة , والتظاهر بالإنصاف من جهة أخرى ، وهذه هي طبيعة الباطل المنتفش ، أمام الحق الواضح القوي المتين . [2]

وبالرغم من تلك المراوغة التي قام بها فرعون من أجل اسقاط هذه الدعوة ، إلّا إنّ هذا الرجل المؤمن لم يسكت امام هذا الطاغية وجبروته ، وياله من إيمان الذي يحرك هذا الإنسان لكي يتكلم امام مدعي الألوهية ، ولم يأبه بالمصير الذي يلاقيه ، انّها العاطفة الإيمانية التي تجعل الإنسان يستصغر كل ظالم امامه ويضحي بالغالي والنفيس من اجل غاياته السامية. إنّه ينظر إلى فرعون وسلطانه من منظور ايماني فوجد فرعون مجرّد من كل قوه وتأثير ، ولم يخدع بالمظاهر المادية التي احاطت به ، فما هي إلّا هالات زائفة و ألوان خدّاعة لا تخدع إلا الضعاف وسذّاج العقول ، فيظنون أنّه على شيء والحقيقة بخلاف ذلك . [3]

إنّه يصدح بإيمانه ويعلنها مدوية مبينا حقيقة اتباعه لموسى عليه السلام : ﭽ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ﭼ [4] فما أعظم الإيمان عندما يخالط قلوب المؤمنين ، ويال عظيم تلك الكلمات المعبرة عن ذلك الإيمان ، إنّها تنم عن تحدٍ صريح لفرعون وجنوده ، وفي الوقت نفسه عن عاطفة جياشة لقومه . فأمّا التحدي فما لبث فرعون يقول : ﭽ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ﭼ حتى قال الرجل المؤمن : ﭽ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ﭼ انه يرد على فرعون دعوته لقومه ليصدح بدعوته الإيمانية الصادقة فشتان ما بين الدعوتين ، انّهما تمثلان دعوة الكفر والضلال ، مقابل دعوة الإيمان والحق المبين . وأمّا كونها عاطفة جياشه فلا زال ذلك الرجل المؤمن يستعطف قومه ب : ﭽ ڭ ﭼ عسى يجد آذاناً صاغيةً, أو قلوبا واعية أو مشاعر تلامس

---

(١) سوره غافر الآيتان : ٣٦ ٣٧.

(٢) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي : ١٣/٤، وفي ظلال القرآن ،سيد قطب ، ٣/ ٣/ ٣٠٨١ ٣٠٨٢.

(٣) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن ، صلاح الخالدي : ١٢٥.

(٤) سورة غافر الآية : ٣٨.

مشاعره الإيمانية الصادقة ، ليكون لهم طريقا آمناً محفوفاً بالحب والود موصلاً لهم إلى حقيقة السعادة الأبدية .

وإنّ من عظمة القرآن الكريم اشارته إلى مدى أهمية العواطف الإيمانية في هذه الحياة ، فلازال يذكر ذلك الرجل المؤمن بأهم صفتين ، ألا وهي الإيمان , وعاطفته تجاه قومه , فأمّا الإيمان فبقوله تعالى : 

فهو لا يزال يلتمس قومه ويتقرب اليهم ويتودّد بنصحهم ليشعرهم بأنّه واحد منهم انّها قمة من قمم الرفق لا يبلغها إلّا من اتصل بمشكاة النبوة وأنوارها اتصالا لا يعرف الكلل والملل . [١]

فهو يدعوهم إلى ما يكون سببا لنجاتهم في هذه الحياة الدنيا والآخرة ، وهم يدعونه إلى ما يكون سبب دخوله النار وهو الشرك فلا فرق بين الشرك والدعوة إلى النار فما يجمعهما هو طريق ومصير واحد ، فشتان ما بين الدعوتين إنّه يدعو إلى إله واحد تشهد آثاره في الوجود بوحدانية ، وتنطق بدائع صنعه بقدراته ، يدعوهم ليغفر لهم وهم يردون له الإشراك بالله في مدعيات وأوهام ما انزال الله بها من سلطان . [٢]

وهكذا ينتقل الرجل المؤمن بين آية واخرى ، في مشاهد جمالية تشعر عن طريقها بإحساس ذلك الرجل الذي يأخذ بعقول المتلقين إلى أبعد الآفاق مبيناً حقيقة لا شك فيها وهي : چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ [٣] فمما لا يقبل الشك أنّ آلهتكم التي تدعونني لعبادتها آلهة باطلة ، لا وزن لها ولا قيمة في الدنيا والآخرة [٤]

واعلموا أنّ مصير الخلائق كلها بيد الله سبحانه وحده ، وهو يجازي كل عامل بعمله ، فمن تعدى حدوده بالمعاصي وسفك الدماء ، فأولئك هم اصحاب النار خالدين فيها ابدا . [٥]

وماذا بعد هذا الحوار الشامل للحقائق الرئيسة للعقيدة ، وقد جهر بها هذا الرجل المؤمن في مواجه فرعون وجنوده بلا تردد ولا خوف بعدما كان يكتم ايمانه ، لقد دعاهم بكل حب و ود ورغبهم في الآخرة وحثهم على طريق النجاة وحذرهم من طريق الخسران والهلاك ، لقد اقام عليهم الحجه فما عليه إلّا أنْ يغادر مسرح الأحداث ، وودّع قومه قائلا : چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک چ [٦] إنّ هذه العبارة الواثقة ليست تهديداً وإنّما هي نصيحة وتذكير ، كما إنّها ليست تخلياً عنهم ، بل هي وسيلة من وسائل التأثير ، لاختيارهم الحق ، فهما طريقان لا ثالث لهما . أمّا طريق الإيمان والهداية ، و أمّا طريق الباطل والغواية ، وعندما تختارون أحد الطريقين ، وتقطفون ثمارها عندها ستذكرون ما أقول لكم فلا تلوموني ، ولوموا أنفسكم ، وأمّا قول الرجل المؤمن : چ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک چ فهو يدل على معلم بارز في الدعوة والإيمان ، وهو أنّ الرجل لم يتحرك من تلقاء نفسه ، وإنّما بعاطفته الإيمانية التي تمثل

---

(١) ينظر : موسوعة الاخلاق والزهد ولرقائق ، ياسر عبد الرحمن : ٣٦٨/١.

(٢) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٥/ ٣٠٨٣.

(٣) سورة غافر الآية : ٤٣.

(٤) ينظر : التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ١٢/ ٢٩٥.

(٥) ينظر : التفسير الميسر ، نخبه من أساتذة التفسير ، : ٤٧٢/١.

(٦) سوره غافر الآية :٤٤.

منهجاً في الدعوة والإيمان ، منهجاً يلزم كل داعية يواجه قوى الباطل والطغيان ، وهكذا سجل مؤمن آل فرعون كلمة الحق الخالدة في ضمير الزمان ، لقد أسلم نفسه لله وفوّض أمره إليه ، فهل يتخلى عنه ؟ إنّ الله لا يتخلى عن أولياءه ولا يسلمهم إلى اعدائه ، بل يكون معهم بالنصر والتثبيت والتمكين وهو ما اخبرنا به سبحانه : 

يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))، [١] وبين أيدينا نموذج من النماذج الدعوية الصادقة ، التي سطّر القرآن الكريم ذكرها وتخليدها في مواجه الباطل ، وهو مؤمن آل يس [٢] الذي صدح بدعوة الحق ، وقال كلمه الصدق ، بوجه الظلم والطغيان ، ليرسم لنا منهجاً في أهميه الكلمة وأثرها في النفس والموقف وتحديد المصير ، ودورها البارز في الدعوة إلى الله تعالى ، يدفعه بذلك أيمانه ويقينه الراسخ بالخالق سبحانه .

لقد جاءت قصة مؤمن آل يس في سورة يس وهي من السور المكية . [٣] ولذا سمي بمؤمن آل يس ، ولم يتطرق القرآن الكريم إلى ذكر اسم ذلك المؤمن . إذ لا عبرة للأسماء ، إنّما العبرة بما يحمله الإنسان من الإيمان في قلبه وجوارحه وكونه صاحب رسالة في هذه الحياة الدنيا .

لقد بدأت الرحلة الإيمانية لهذا المؤمن الصادق عندما أرسل الله سبحانه وتعالى اثنين من المرسلين إلى قرية من القرى ، فلم يؤمنوا بهما فعزّزهما بثالث حيث قال تعالى : چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ پ ٻ ٻ ٻ

فكيف لا تحيط به الأساطير والأوهام ، وكيف يكون شخصية مكشوفة وبسيطة لا أسرار فيها ولا الغاز تحيط بها ؟ شخصية بشرية عادية من الشخصيات التي تمتلئ بها البيوت والأسواق ، وهذه هي سذاجة التصور والتفكير ، فالألغاز والأسرار ليست صفة ملازمة للنبوة والرسالة ، وليس في هذه الصورة الساذجة الطفولية ، بل إنّ هناك سراً هائلا ضخماً يتمثل في الحقيقة البسيطة الواقعة ، حقيقة إيداع إنسان من هؤلاء البشر الاستعداد اللدُني ، الذي يتلقى به وحي السماء ، حيث يختاره لتلقي هذا الوحي العجيب ، وهو اعجب من أن يكون الرسول ملكاً كما كانوا يقترحون فالرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية ، وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة ، وفق ذلك المنهج الإلهي ، النموذج الذي يدعوا قومه إلى الاقتداء به ، وهم من البشر فلابد أنْ يكون رسولهم من البشر ، ليحقّق نموذجاً في الحياة يمكن أنْ يقلدوه . [١]

وبالرغم من هذا التكذيب من أهل القرية ، إلّا أنّ الرسل لم يقابلوا ذلك إلّا بالصبر وألاناه . شأن الواثق من صدقه ، فقالوا لأهل القرية: 

ممعنون في الشرك ، تعيشون فيه وتقيمون عليه ، والمصائب التي حاقت بكم هي نتاج سوء أعمالكم . [١]

وفي تلك الأثناء واصحاب القرية يهددون ويتوعدون الرسل بالرجم والقتل ، انبرى ذلك الرجل المؤمن من أطراف المدينة مسرعاً يدفعه إيمانه الذي يحمله في قلبه ، وعاطفته وحبه الخير لقومه ، فلم يكن الأمر متعيناً عليه ، فالمدينة فيها من الأنبياء ثلاثة وليس نبياً واحداً، وهو رجل عادي من عوام الناس فما عساه أنْ يفعل أو يزيد عليهم , أو أنْ يضيف, وما الفارق الذي يمكن أنْ يضعه في وجود كل هذا العدد من أفاضل الخلق ، وأحسنهم بيانا وأبلغهم حجه ومنطقاً ؟ . وهل بعد تكذيب مدينته لأولئك المعصومين تنتظم له استجابة أو يظن به قدرة على التأثير ، ربما دارت تلك الأسئلة والخواطر في ذهن ذلك المؤمن الصادق وهو في طريقه من اقصى المدينة ساعياً مجداً في سيره ليبلغ مكان اجتماع الناس ومنتداهم ، ولربّما استرجع في تلك اللحظة ما لقيه المرسلون واحداً تلو الآخر ، من عنت وصدود وتكذيب حتى تم التعزيز برسول ثالث ورغم ذلك الجحود من الناس والتهديد بالقتل رجماً ، لعله دارت بخلده مشاهد الإهانة والتوبيخ التي قوبل بها اولئك الأخيار والتي تجعل غالب الظن بعد كل ذلك أنْ يلقى هو ما لقيه أئمه الحق أو اشد ، لكنه مع ذلك ما انفك عن السعي وما تباطأ به المسير ، أو قعد عن البذل ، إنّه رجل يعرف هدفه جيداً ، ويدرك أبعاد قضيته بشكل واضح ، ويعلم أنّ مناط تلك القضية ليس مطلق ترتب الثمرة ، ولا حصول الاستجابة فتلك أمور بيد مولاه ، لكن الصدع بالحق كان هو مبتغاه والبلاغ عن الله كان هو غاية مسعاه ، والدلالة على الخير والدعوة إلى أهله كانت مطلبه ومبعث رضاه . [٢]

فجاءت الآيات لتبيّن عظيم الأثر الطيب الذي سطّره هذا الرجل المؤمن ، ومن عظيم هذا الأثر أنّ القرآن خلّده في آيات تفوق ما تحدث به عن الرسل الثلاث ، وهذا دليل على عظم ما يحمله من الإيمان في قلبه بالرغم من المدة الوجيزة التي أعلن فيها عن ايمانه ، ولكن الإيمان إذا لامس القلوب الصادقة ، صنع الأعاجيب حتى وصف لنا القرآن الكريم صفة قدومه وكلامه مع قومه وسرعه الاستجابة للحق بقوله تعالى : ﭽ ﮓ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ﭼ [٣] " إنّها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة ، فيها الصدق والبساطة والحرارة ، واستقامة الإدراك وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين ، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ، ما يتحدث عنه في مقالته لقومه ، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه

---

(١) ينظر : التفسير الوسيط للقران الكريم ، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر : ٨/ ٣٥٣.

(٢) رجل يسعى ، موقع طريق الاسلام ، ١٠ /٢٠١٦/١٢.

(٣) سوره يس الآية : ٢٠

الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتا ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الظلال من حوله والجحود والفجور ، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره ، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون , وجاء من اقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق ، وفي كفهم عن البغي ، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أنْ يصبّوه على المرسلين ، وظاهر هذا الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان ولم يكن ذا عزوة في قومه أو منعة من عشيرته ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى اقصاها " (١)

ذلك أنّ الإيمان إذا حل في القلوب حوّل فصولها إلى ربيع دائم ، مليء بالحب والخير لجميع الناس ، لاغياً جميع الاعتبارات الدنيوية الزائلة ، غير مبال ببعد المسافات وصعوبة الطريق ، في سبيل هداية الآخرين ، إنّ مؤمن آل يس ذاق حلاوة الإيمان ونور الهداية عن طريق هؤلاء المرسلين ، فدفعه إيمانه وحبه لقومه إلى دعوتهم إلى ما يكون سبب نجاتهم في الدنيا والاخرة لا سيما أنّ هؤلاء المرسلين ليس لهم من وراء ذلك مكسب مادي أو طمع دنيوي ، فقد التفت هذا الرجل المؤمن إلى عدم سعي هؤلاء المرسلين إلى تحصيل أي متعة دنيوية وهذا هو شأن الدعوة الحقّة فلا تكون وسيلة للتكسب فهذا مما يخل بقيمتها ويقلّل من قدرها ، وذلك لأنّ الدعوة الصادقة تقوم على البذل والعطاء لا على الأخذ ، لذا قال :

فالرجل المؤمن يحس بهذا في قرارة نفسه ، فيعبّر عن هذا التعبير الواضح البسيط ، بلا تكلف , أو لف وتعقيد ، وهو يحس بفطرته الصادقة الصافية ، مبيناً لهم أنّ جميع الخلائق رحيلها إلى مصدرها الاصيل وهو الله سبحانه وتعالى . [١]

ثم يعود اليهم مبيناً حقيقة هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، وأنّه لا مستحق للعبادة إلّا الله سبحانه فهو الخالق والرازق والضار والنافع، فقال : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [٢] فهو يخاطب الفطرة عندهم ويحاورهم بالمنطق ويلامس اوتار الفكر بأسلوب غايةً في التواضع واللطف والدماثة ، إذ يوجه السؤال لنفسه باعتباره أوّل مخاطب بما يتكلم ، فكيف يكون هؤلاء آلهة وبأيّ حق وهي لا تسمع ولا تنفع ولا تغني عن عابدة شيئا ، فهي من المهانة والحقارة لو أراد الله أنْ ينزل بي شيئاً من الضر والاذى وشفعت لم تنفعني شفاعتهم ، ولم يقدروا على انقاذي فكيف وهي حجارة صماء لا تسمع ولا تشفع فلو عبدتها من دون الله فأني في ظلال وخسران ظاهر وجلي لا غبار عليه .[٣] فما أعظمهما من كلمات نورانية رقيقة رقراقه تخاطب الروح والعقل في آن واحد ، نطق بها هذا الرجل المؤمن في تلك الظروف العصيبة الصعبة فضلاً عن كلّ التكذيب وتلك العوائق والعقبات التي واجهت مَنْ هم أعلى منه منزلة وأجلّ قدراً.

وبعد أنْ تحدّث الرجل المؤمن بلسان الفطرة الصادقة العارفة الواضحة يعلن قراره الأخير في وجه قومه المكذبين المتوعدين ، لأنَّ صوت الفطرة في قلبه وروحه أعلى وأقوى من كل تهديد وتكذيب ، فيعلنها مدوية يبلغ صداها عنان السماء لتكون شهادة له عند خالقه ، فيقول : ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ. [٤]

وهكذا القى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة وأشهدهم عليها من أجل أنْ يقولوها مثل ما قالها ، ولكن هيهات هيهات ، لمن اصم أذنيه عن سماع الحق وأغلق عينيه عن رؤيه الهداية والإيمان فما كان منهم إلّا أنْ عمدوا إلى قتل تلك الروح الطيبة ، وهذا ما يوحي به السياق وإنْ لم يذكر صراحة ، انّما يسدل الستار على الدنيا وما فيها وعلى القوم وما هم فيه ، لنرى هذا الشهيد الذي جهر بكلمة الحق متبعا صوت الفطرة ، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل ، نراه في العالم الآخر ، ونطلع على ما اعده الله له من كرامة تليق بمقام هذا المؤمن الشجاع : [٥] وهكذا تتصل الحياة الدنيا بالآخرة ، ونرى

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب :٥/٢٩٦٣.

(٢) سورة يس الآيتان : ٢٣ – ٢٤

(٣) ينظر : صفوة التفاسير ، الصابوني : ٣/ ٨.

(٤) سوره يس الآية : ٢٥ .

(٥) سوره يس الآيتان : ٢٦ – ٢٧ .

الموت نقله من عالم الفناء إلى عالم البقاء ، فهي خطوة يخلص بها هذا المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة ونعيمها ، ومن تطاول أهل الباطل إلى طمأنينة الحق ، ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم ، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين . (١)

ونرى المؤمن وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة ، فها هي أبوابها الهائلة وقصورها المنيفة ، وشذا نسيمها العطر ونعيمها المقيم ، لم يعد بينه وبين ولوجها إلّا طرفة عين وانتباهتها : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ لقد جاء الأذن وتم الفضل واكتملت النعمة , إنّه الحلم الذي طالما راوده والأمل الذي لم يغادر فؤاده ، والغاية التي لأجلها عاش ومات عليها ، قد صارت الآن رأي العين ، لقد تكلل مسعاه بالنجاح وتوّج جهده بالراحة والفلاح، فيال فرحة القلب ورضا النفس ، وفي هذه الأنوار الإلهية والنعم الربانية ، تعود به عاطفته الإيمانية ، ولكن إلى أين ؟ إنّها تعود به إلى قومه الذين قتلوه . فيقول : ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ ، أبعد كل هذا يلتمس احوالهم فليس عليك هنا تكليف ولا ثواب أو عقاب ، فما دافع السؤال ؟ وما محرك رغبتك في الدعوة والبلاغ ، وحرصك على هداية الناس، أهو دأب الصالحين ؟ أم هو حرص المؤمنين الذين يحبون للناس ما يحبون لأ نفسهم ؟ , أم هي معرفة الله عزّ وجل التي متى خالطت القلوب بشاشتها نضحت على الجوارح وتهللت بها الأسارير وانعقد العزم ، واجتمعت عليها النية صار لصاحبها هذا السمت ، سمت العارفين ، الذين ذاقوا فعرفوا وعرفوا فاغترفوا ففاضت معرفتهم ، وخرجت لتظهر على أقوالهم وافعالهم ، وبدون تكلف أو افتعال ، إنّ سؤال الرجل المؤمن عن قومه يثير الدهشة والعجب لقد قالها وهو يساق إلى الجنة ، وبعد أنْ دفع الثمن ، وبالرغم من ذلك كانت رغبته وما يشغل ذهنه أنْ يدرك الناس ما عند الله من المغفرة والإكرام ، إنّه مشهد يجسد حرصاً غير عادي وتفانياً منقطع النظير ورغبة عارمة في هداية الخلق وتعريفهم بالحق ، فلم يتكاسل عن نصحهم وبذل الوسع في الأخذ بأيديهم طالما فيه عرق ينبض. بل استمر على شأنه حتى بعد انتقاله إلى دار القرار , إنّه نموذج عجيب ونمط فريد من النماذج الإيمانية التي خلّد القرآن ذكرها . (٢)

وهكذا كان جزاء الإيمان ، فأمّا الطغيان فكان أهون على الله من أنْ يرسل عليه الملائكة لتدمره ، لذا قال : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (٣) فلا يطيل الوصف في مصرع القوم تهويناً لشأنهم وتصغيراً لقدرهم فما كانت إلّا صيحة واحدة ، أخمدت أنفسهم ، وكأنّهم لم يكونوا من قبل ، ويستدل الستار على ذلك المشهد البائس المهين الذليل، لمن انحرف عن جادة الحق القويم والابتعاد عن المنهج الإلهي الكريم. (٤)

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٥/ ٢٩٦٤.

(٢) رجل يسعى ، موقع طريق الاسلام ، ٢٠١٦/١٢/١٠.

(٣) سورة يس الآيتان : ٢٨٢٩.

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٥/ ٢٩٦٤.

هكذا تنتهي معنا الصورة الإيمانية المشرقة لمؤمن آل يس بعد أنْ جسّد فيها كل معاني التضحية والفداء في سبيل نصره الحق وأهله ،إنّ هذه القصة التي عرضها القرآن الكريم نموذج يمكن أنْ يتكرّر في كل زمان ومكان ولكن بصور مختلفة، فعندما يقل أهل الإيمان وانصار الحق وتخرج هذه الكلمة يكون لها صداها ، ويكون لها أثرها ، فهذه الكلمة كفيلة بأنْ تفقدك الوجاهة والمصالح والعلاقات وتفقدك السمعة والحظوة عند كثير من الناس، كما قال تعالى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ [(١)] فمن ينطق بكلمة الحق يكون مكروها ومبغضاً من قبل طائفه كبيرة من الناس ، ولكن من جعل الله الإيمان في قلبه لا يأبه بكل تلك الترهات ، وتصبح كالريشة في مهب الريح ، أمّا الإيمان فهو كالصخرة التي تتكسر عليها كل الأفكار الهدامة وكل المصالح والمطامع الدنيوية ، والأمور النفسية الضيقة التي تدفع الإنسان أن ينزوي في زاويه أو يستعلى فوق تل وهو ينظر إلى الباطل وهو يستعلي على الحق فلا يكون مدافعا ولا ناصراً ،لأنّه يخشى من فوات المرغوب وزوال المطلوب ، لذا نجد أنّ الحق في كل زمان يحتاج إلى انصار ويحتاج أنْ يتجدّد مؤمن آل فرعون , ومؤمن آل يس الذي قد يكون أنت أو أنا , أو هو ولكن متى يظهر ذلك المؤمن ؟ إنّه يظهر عند المواقف ، فعند المواقف تعرف الرجال ، الرجال الذين يدفعهم الإيمان لقول كلمه الحق في مواجه الباطل وأعوانه، كما قال تعالى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ

٥- بيان مدى شمولية القرآن الكريم لكل جوانب الحياة لاسيما العاطفية منها.

٦- إنّ القران الكريم كتاب تنبض فيه الحياة بكل معانيها، وتتجسد فيه كل معاني الصور العاطفية بكل جوانبها الانفعالية والوجدانية والإنسانية.

٧- سمو وبلاغة القرآن في عرض الصور العاطفية ،ممّا يساعد على تكوين صور في أذهان المتلقي بعيدة عن الخيال والوهم .

المصادروالمراجع

القرآن الكريم :

١- البرهان في علوم القرآن ، ابو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، (المتوفى ٧٩٤هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ،بيروت ،لبنان ،ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ابو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى١٢٠٥ هـ)،ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣- التحرير والتنوير ، محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد عاشور ،(المتوفى ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر، تونس ،١٩٨٤هـ .

٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزبن الشريف الجرجاني،(المتوفى ٨١٦هـ)،ت: جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط١ ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥- تفسير القرآن العظيم ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ،(المتوفى٧٧٤)، تحقيق سامي بن محمد سلامه ، دار طيبه للنشر والتوزيع،ط٢ ، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

٦- التفسير القرآني للقران ،عبد الكريم يونس الخطيب ،(المتوفى١٣٩٠هـ)، ، دار الفكر العربي ،القاهرة .

٧- التفسير الميسر ، لنخبة من أساتذة التفسير مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف ، السعودية ، ط٢، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٨- التفسير الواضح ، محمود محمد الحجازي ، ، دار الجيل الجديد ،بيروت ،ط١٠، ١٤١٣هـ.

٩- التفسير الوسيط ، مجموعه من العلماء بأشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

١٠- التفسير الوسيط للقران الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة ،الفجالة ، القاهرة ، ط١ ١٩٩٨م.

١١- تهذيب اللغة ، محمد بن احمد بن الأزهري الهروي ابو منصور،(المتوفى ٣٧٠هـ)،ت: محمد عوض مرعب، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢٠٠١،١م.

١٢- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

١٣- دعوة الرسل ، أحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة ،القاهرة ، ط ١ ،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

١٤- رجل يسعى ، موقع طريق الاسلام ، ١٠ /٢٠١٦/١٢.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي،(المتوفى ١٣٤٢هـ) ، تحقيق علي عبد الباري عطيه ، دار الكتب العلمية ،القاهرة، ط١، ١٤١٠ هـ

١٦- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ)، تحقيق ، عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

١٧- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٨- العاطفة الإنسانية في المنظور القرآني ، قحطان فيصل عبد ، مجلة الدراسات التربوية والعلمية ، كلية التربية في الجامعة العراقية ، العدد السابع ، جمادي الاولى ١٤٣٧هـ اذار ٢٠١٦م

١٩- العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية ، محمد موسى الشريف ،دار ابن كثير، دمشق ، بيروت ، دار التربية ، دمشق ، ط١٤٢٩،٢ هـ -٢٠٠٨ م .

٢٠-العلماء هم الدعاة ، ناصر بن عبد الكريم العقل، موقع ، Islamhouses . com .

٢١- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ،(المتوفى ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق، بيروت ، القاهرة ،ط١٧ ، ١٤١٢ هـ .

٢٢- قصة مؤمن آل يس ، رانيا ، موقع سطور ، ٢٨مارس ٢٠١٩.

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ابو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، (المتوفى٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ .

٢٤- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ،ابو الفضل ،جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (المتوفى ٧١١هد) دار صادر بيروت، ط٣ ،١٤١٤هـ .

٢٥- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلا القاسمي (المتوفى ١٣٣٢هـ)، تحقيق ، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط١، ١٤١٨هـ .

٢٦- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني اقليما ، التارلي بلدا ،(المتوفى ١٣١٦هـ)، تحقيق ، محمد امين الصناوي ، دار الكتب العلمية، بيروت. ط١، ١٤١٧هـ .

٢٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،(المتوفى ٢٦١هـ)، تحقيق ، محمد فؤاد عبد البلقي ، ، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- مع قصص السابقين في القرآن ، دروس في الآيات ، والدعوة والجهاد ، صلاح عبد الفتاح الخالدي (دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٢٩- معجم مقاييس اللغة ،ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ،ت :عبد السلام محمد هارون، دار الفكر :١٣٩٩هـ -١٩٧٩م

٣٠- مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٣١- موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ، ياسر عبد الرحمن ، ، مؤسسة اقرأ، القاهرة ،ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

Sources and References

The Holy Qur’an :

1. Evidence in the Sciences of the Qur’an, Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Al-Zarkashi, (died 794 AH), verified by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and his partners, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1376 AH - 1957 AD
2. Taj Al-Arous, One of the Jewels of the Dictionary, Muhammad bin Muhammad bin Abd Al-Razzaq Al-Husayni Abu Al-Fayd, nicknamed Murtaza Al-Zubaidi (died 1205 AH), T: a group of investigators, Dar Al-Hidaya.
3. Tahrir and Enlightenment, Muhammad bin Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Ashour, (died 1393 AH), Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AH.
4. Definitions, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zabin Al-Sharif Al-Jarjani (died 816 AH), T.: A group of scholars, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1403 AH-1983AD.
5. Interpretation of the Great Qur’an, Abu Al-Fida 'Ismael ibn Omar ibn Kathir Al-Qurashi Al-Basri then Al-Dimashqi (died 774), verified by: Sami bin Muhammad Salameh, Taibah House for Publishing and Distribution, Edition 2, 1420 AH -1999
6. Quranic Interpretation of the Qur’an, Abd Al-Karim Yunis Al-Khatib, (died 1390 AH), Arab Thought House, Cairo
7. Facilitated Interpretation, for a group of professors of interpretation, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran, Saudi Arabia, 2nd Edition, 1430 AH - 2009 AD.
8. The Clear Interpretation, Mahmoud Muhammad Al-Hijazi, House of the New Generation, Beirut, 10th Edition, 1413 AH
9. The Mediator Interpretation Medium, a Group of Scholars under the Supervision of the Islamic Research Academy in Al-Azhar, the General Authority for the Affairs of the Emiri Press, 1st Edition, 1414 AH, 1993 AD.
10. The Mediator Interpretation of the Holy Qur’an, Muhammad Sayed Tantawi, Nahdet Misr Printing House, Faggala, Cairo, 1st Edition 1998 AD.

11. Tahdheeb of Linguistics, Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harwi Abu Mansour, (died 370 AH), verified by: Muhammad Awad Terrif, House of Revival of the Arab Heritage, Beirut, Edition 1,2001 AD.
12. Al-Jami Al-Sahih, Sunan Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Issa Abu Issa Al-Tirmidhi Al-Salami, verified by: , Ahmad Muhammad Shaker and others, House of Revival of Arab Heritage, Beirut.
13. The Call of the Messengers, Ahmad Ahmad Ghulush, The Resala Foundation, Cairo, 1st Edition, 1423 AH - 2002 AD
14. A Man Seeking, Islam Way website, 10/12/2016.
15. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Mathani Seven, Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Husayni Al-Alusi, (died 1342 AH), verified by: Ali Abd Al-Bari Attia, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Cairo, 1st Edition, 1410 AH
16. Zad Al-Maseer Science of Interpretation, Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abd Al-Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jawzi (died 597 AH), verified by: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Arab Book House, Beirut, 1st Edition, 1422 AH.
17. The Safwat of Interpretations, Muhammad Ali Al-Sabouni, Dar Al-Sabouni for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 1st Edition, 1417 AH - 1997 AD.
18. Human Emotion in the Qur'an Perspective, Qahtan Faisal Abd, Journal of Educational and Scientific Studies, College of Education at the Iraqi University, Issue Seven, Jumada Al-Ula 1437 AH, March 2016
19. Faithful Passion and its Importance in Islamic Works, Muhammad Musa Al-Sharif, Dar Ibn Kathir, Damascus, Beirut, Dar Al-Tarbiyyah, Damascus, ed. 2,1429 AH - 2008 AD.
20. The Scientists are the Preachers, Nasser bin Abdul Karim Al-Aql, website, com. Islamhouses.
21. In the Shadows of the Qur'an, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharbi (died 1385 AH), Dar Al-Shorouk, Beirut, Cairo, 17th Edition, 1412 AH.
22. The Story of Moamen Al-Yassin, Rania, Sutour website, March 28, 2019.
23. Revealing the Facts of the Mysteries of the Revelation, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed Al-Zamakhshari Jarallah, (died 538 AH) Arab Book House, Beirut, 3rd Edition, 1407 AH
24. Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruweifai Al-Afriqi (died 711 AD) Dar Sadir Beirut, 3rd Edition, 1414 AH
25. Mahasin Al-Ta`wil, Muhammad Jamal Al-Din bin Muhammad Sa`id bin Qasim Al-Hala Al-Qasimi (died 1332 AH), verified by Muhammad Basil Uyun Al-Soud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st Edition, 1418 AH.
26. Marah Lapid to reveal the meaning of the glorious Qur'an, Muhammad bin Omar Nawawi, Al-Jawi, Al-Bintani, a region, Al-Tanarli country, (died 1316 AH), verified by: , Muhammad Amin Al-Sanawi, Dar Al-Kutub Al-Ulmiyyah, Beirut. 1st ed., 1417 AH.
27. The Authentic Musnad Summarized by Transferring Al-Adl on the Authority of Al-Adl to the Messenger, Muslim ibn Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi (died 261 AH), verified by Muhammad Fu'ad Abd Al-Balqi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut.
28. With the Stories of the Former in the Qur'an, Lessons in Verses, Advocacy and jihad, Salah Abd Al-Fattah Al-Khalidi (Dar Al-Qalam, Damascus, 1st ed., 1409 AH - 1989 AD.

29. Dictionary of Language Standards, Abi Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria, T: Abd Al-Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr: 1399 AH -1979 AD
30. Miftah Al-Ghayb, Muhammad bin Omar Al-Tamimi Al-Razi Al-Shafi'i, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st Edition 1421 AH-2000 AD.
31. Encyclopedia of Ethics, Asceticism and Kindnesses, Yasser Abdel Rahman, Iqra Foundation, Cairo, 1st Edition, 1428 AH - 2007 AD.